جماليات النَّص القرآني بين قصديَّة المعنى وتحقيق الإعجاز

د. خالد عبَّاس مصطفى *

د. حمد النيل عثمان عبد السيد**

مستخلص البحث

يهدف البحث إلى لفت انتباه المشتغلين بالنَّص القرآني إلى أنَّ إعجاز القرآن ومَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أنَّ هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك إثبات صدق الرسول ﷺ فيما جاء به قومه من الرسالة، ودعاهم إليه من الإسلام، وعليه فإنَّ حقيقة الإعجاز وهي إثبات العجز لمن وقع عليه التحدي ، استلزمت إظهار هذا العجز، وهذا الإظهار بدوره استلزم إظهار صدق رسول الله (ﷺ) وهو المقصود الأول من الإعجاز، ومن هذه الطريقة في المعالجة والسبر تأتي أهمية هذا البحث. اتبع الباحثان المنهج الاستقرائي والاستنباطي ، توصَّل الباحثان إلى نتائج عدَّة ، من أهمها أنَّ الكلمة في القرآن إنَّما تأتي في الموضع المناسب، ولا يمكن أبداً إبدالها بكلمة أخرى، وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم وهذا معنى القصدية في هذا البحث.

* أستاذ الأدب والنقد المساعد جامعة الجزيرة - السودان khalid835@yahoo.com .

** أستاذ مساعد جامعة طيبة، كلية العلوم والآداب (العلا) المملكة العربيَّة السعوديَّة hamadalneel15@Gamail.com.

مقدّمة:

أَلِفَ العربُ لغتهم قديماً؛ فكانت مناط تفكيرهم، ومصدر إلهامهم وإبداعهم؛ فكان الأدباء والشعراء الذين بقي نتاجهم خالداً، دلَّتْ عليه بلاغتهم ولغتهم التي ما فتئتْ تباهي اللغات فصاحةً وبلاغةً وجمالَ أسلوب، وتجلَّى كذلك في شعر المعلقات والخطب والأمثال، كلُّ ذلك جعلَ العربَ أُمَّةً فصيحةً تعتمدُ في كلامِها على الإيجاز، واللمحةِ الدالة التي تُعَدُّ الإيماءةُ والإشارةُ من أبرز مظاهرها حتى أتى القرآنُ الكريمُ بأسلوبه المعجز المحكم ، الذي خاطب العقول على رهافتها حِسَّاً ووجداناً؛ فالقرآن بحقٍّ مائدة سماويَّة ربانيَّة ضمت صنوفاً من المعارف والعلوم التي لا ينقطع مددها ولا عددها ولا إمدادها غزارةً ؛ لأنَّها من لدن عزيزٍ حكيمٍ . وفي القرآن الكريم كثيرٌ من الآيات تتحدَّث عن معالم هذا الكون، وتذكر مفرداته من: السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار، والمطر والرعد والبرق.. إلى آخره ، وإذا كانت هذه الآيات قد ذكرت تلك المفردات في سياق لفت الأنظار إلى مظاهر قدرة الله عزَّ وجل في الخلق، استدلالاً على تفرُّدِهِ سبحانه بالربوبية والإلوهية ، وقياساً عليها أحقية البعث الذي أنكره الكفار، فإنَّها مع ذلك قد جاءت في أسلوب وعبارة تفتح أمام العقل البشري آفاقاً واسعة للتفكير في دلالاتها عبر عصوره المتعاقبة من بعد نزول القرآن، فيقوم لديه من هذه الدلالات في كل عصر ما يشهد بالحق الذي جاءت به. فالمتأمل في عصرنا الحديث يجد أنَّ العلم المادي بدأ يحقق ما جاء في العلم الروحي أو الغيبي الذي تحدث عنه القرآن منذ قرون. وكذلك مما يجدر الإشارة إليه في هذا السياق أنَّ قضية الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم بدأت تفرضُ وجودُها على العرب من أول المبعث، فمنذ أنْ تلا المصطفى (ﷺ) في قومه ما تلقَّى من كلمات ربِّه، أدركتْ قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أيُّ عربي يجد حسَّ لغته وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً، إلا أنْ يُسلِّم بأنَّه ليس من قول البشر. من هنا وقع اختيار الباحثان لهذا الموضوع: جمالية النَّص القرآني بين قصدية المعنى وتحقيق الإعجاز ، فقد اشتمل عنوان البحث على ثلاث كلماتٍ شكَّلت محتواه ، هذه الكلمات المفتاحية اتخذها الباحثان مفتاحاً لمضمون النص القرآني ؛ وهي: مفهوم **جماليَّة النَّص** ، و**قصديَّة المعنى**، ثمَّ **الإعجاز**. لذلك رأى الباحثان ضرورة الوقوف عند الجهاز المفاهيمي لهذا البحث لإضاءة الجوانب المتعلِّقة بعنوانه:

أوَّلاً: مفهوم جماليَّة النَّص :

فقد أصبح الجمالُ – في أساليب اللُّغة العربيَّة أدباً وبلاغة - هدفَ الدراساتِ الحديثة باعتبار أنَّ الأساليب الإبداعيَّة التعبيريَّة إنتاجاً إنسانياً جمالياً ؛ والجميلُ في الفن والأدب والبلاغة هو نهاية المطاف من جهة ما يحويه المضمون ، ونجدُ أنَّ أساليب اللُّغة قد حَرصت على استخراج أسرار الجملة اللُّغوية والنَّحوية والأدبيَّة في وقتٍ واحدٍ لتصل بالكَلام العربي إلى مرتبة البيان الناصع المؤثر السَّاحر الذي يؤثِّر في النفوس ؛ لذا قال النبيُّ (ﷺ) - حين استمع إلى عمرو بن الأهتم وأُعْجِبَ بقوله :**(إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْراً)**[1]، وسحر البيان يتجلَّى في كشفه عن حقيقةِ المُجمل بحسن بيانه ، واستمالته القلوبَ كما يُستَمال بالسحر، وابن الأثير ممَّن ربطَ بين البيان والجمال، فقال: "شيئان لانهاية لهما: البيان والجمال"[2]. فالجماليَّة يمكن أنْ نعدَّها منهجاً تحليليَّاً لدراسةٍ بلاغيَّةٍ نقديَّةٍ تتعلَّق بالتجربةِ الجماليَّةِ من جهةِ الشكلِ والمضمونِ، ونقصد

---

[1]. صحيح البخاري: تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط 3 ، دار ابن كثير، بيروت ، 1407هـ ،ج 5 ص ، 1976م.

[2]. ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد): **المثل السائر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ، 1995م ، ج 1 ، ص 28.

بجمالية النص القرآني في هذا البحث اللَّذة أو الحلاوة التي تكلَّم عنها علماء اللغة العربية في الجاهلية، وظلَّ يبحث عنها النقاد المحدثون من خلال كتاباتهم في جماليات التلقي*.

ثانياً :القصديَّة:

القصديَّة باعتبارها مصطلحاً أوجده المدرسون في العصور الوسطى، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية Intendo أو Intentio بمعنى الشد أو المد أو التوجُّه نحو، ولكن الفلاسفة المتأخرين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر استخدموا الفعل Intendo كمصطلح فني يدلُّ على المفهوم Concept وكان هذا المصطلح الفني ترجمة أخرى لمصطلحين عربيين هما المعقول Maqul وMana الشيء الموجود أمام العقل في التفكير، فالأول ترجمه الفارابي عن الكلمة اليونانية Noema والثاني من وضع ابن سيناء ، ومنه يمكن القول إنَّ المصطلحات "Intentio" و "Mana" و " Maqul" و " Noema " مترادفة على نطاق واسع إذ تستعمل جميعها للدَّلالة على الأفكار والمفاهيم أو أيِّ شيءٍ كائنٍ أمامَ العقلِ في التفكير، كما تُرْجِمَتْ الكلمة Intentio إلى الإنجليزيَّة على أنَّها Intentionعلى القصد بمعناه العادي[3]. ثمَّ اتَّبع فلاسفة العصور الوسطى "الفارابي" في التفريق بين المقاصد الأولى والمقاصد الثانية، فالمقاصد الأولى تُعنى بالأشياء وملامحها خارج العقل، أمَّا المقاصد الثانية فهي المفاهيم التي تتعلق بالمقاصد الأولى، ثمَّ طوَّر الفلاسفة نظريات حول ارتباط المقاصد بالأشياء المعينة، ورأوا أنَّ المقاصد الثانية تشكل موضوعات للمنطق، كما استفادوا من نظرية "أرسطو" حول إدراك الشيء من غير استقبال لمادته. فعندما أفكر في طاولة توجد صورة الطاولة في عقلي، ولكن وجودها في عقلي يختلف عن وجودها في الواقع الخارجي، ففي الطاولة الواقعية، صورة الطاولة لها وجود قصدي، لذلك تستخدم القصدية للدلالة على توجُّه الوعي نحو موضوعه أو نمط العلاقة التي تربط الوعي بمضمون ظاهرة ما، وتعرف على أنَّها قدرة العقل في توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلاتها، وهي خاصية مميزة للعقل يتَّجه من خلالها إلى الأشياء في العالم الخارجي ويتعلَّق بها[4].

أدرك كثير من اللغويين وجود توتُّر دائم بين الألفاظ والمقاصد ، وبين السعي إلى بناءٍ كليٍّ والتعبير بلغة ذاتيَّةٍ عن الحياة الباطنية ، مصدر التوتر، هو أنَّ اللغة ذات وجودٍ مجرَّدٍ، ما دامت في خدمة الجماعة بينما تحظى فنون التعبير بقيمة شخصية ما دامت في خدمة الفرد؛ لذا يجب التراجع عن دراسة اللغة باعتبارها بنية أو تراث من أجل اختزالها إلى الأفعال القصديَّة فالمتكلم يريد تحقيق مسعى معين أي أنَّه يقصد شيئاً بكلامه، وحينما يتعرَّف القاريء أو السامع على مراد المتكلم يكون قد توصَّل إلى فهم لغته؛ فالمفردات المجردة عن القصد لغو ، وتظهر القيمة النفسية للغة في فعل القصد[5].

ثالثاً:مفهوم الإعجاز:

الإعجاز مصدر أعجز، ومادة الكلمة هي العجز، وكلام أهل اللغة في معناها يدور حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله. قال ابن منظور: (العجز: نقيض الحزم؟ والعجز: الضعف، والمعجزة

---

* من أبرز الذين بحثوا في هذا المجال: **رولان بارت** (بالفرنسية: Roland Barthes) (1915 – 1980م) فيلسوف فرنسي ناقد أدبي دلالي ومنظِّر اجتماعي، واتسعت أعماله لتشمل حقولاً فكرية عديدة. أثَّر في تطور مدارس عدة كالبنيوية وغيرها بالإضافة إلى تأثيره في تطور علم الدلالة. تتوزّع أعمال رولان بارت بين البنيوية وما بعد البنيوية، ثم انصرف إلى الثانية أسوة بالعديد من فلاسفة عصره ومدرسته. كما أنه يعتبر من الأعلام الكبار في التيار الفكري المسمّى ما بعد الحداثة. ومن أبرز كتاباته "لذة النَّص" (انظر: الموسوعة الحرَّة http://ar.wikipedia.org).

[3]. صلاح إسماعيل : فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر 2007م، ص169.

[4]. فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل ، مرجع سابق ، ص 170.

[5]. عز العرب لحكيم بناني: الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ، الدار البيضاء المغرب، 2003م ، ص28.

بفتح الجيم وكسرها : مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث- " كلُّ شيء بقدر حتَّى العجز والكَيَس "[6] . وقيل : (أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف)[7]. فالعجز أعمَّ من أنْ يكون ضعفاً وانعدام قدرة ، وإنَّما يمكن أنْ يعني ترك الأمر تسويفاً، مما يفهم منه أنَّ ما ترك في حيِّز القدرة عليه، لكن الباعث على تركه هو الكسل الحامل على التأجيل والتسويف. ولعلنا إنْ وقفنا عند حديث رسول (ﷺ): (اللهم إنِّي أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين* وغلبة الرجال)[8] ، تتكشَّف لنا معانٍ كثيرة ، نذكر منها ما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى: (إنَّ الهمَّ : لما يتصوَّرُه العقلُ من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط)[9]. فالجمع في الحديث بين الاستعاذة من كلٍّ من العجز والكسل فيه دلالة على تغاير المعنى فيهما، فالأول عدم القدرة والثاني عدم النشاط والنهوض للأمر. وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز " هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني"، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك، "قال الليث: أعجزني فلان إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه"[10].

إذا كان هذا معنى الإعجاز، فبإضافته إلى القرآن، ومنهما يكون مصطلح: (إعجاز القرآن) مركَّباً إضافيَّاً ومعناه " إثبات القرآن عجزَ الخلقِ عن الإتيان بما تحداهم به فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلَّق بالفعل محذوف للعلم به والتقدير ، إعجاز القرآن خلقَ اللهِ عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصوداً لذاته ، بل المقصود لازمه ، وهو إظهار أنَّ هذا الكتاب حق ، وأنَّ الرسول الذي جاء به رسول صدق"[11] . فإعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو إظهار وإثبات أنَّ هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول (ﷺ) فيما جاء به قومه من الرسالة، ودعاهم إليه من الإسلام، وعليه فإن حقيقة الإعجاز وهي إثبات العجز لمن وقع عليه التحدي استلزمت إظهار هذا العجز، وهذا الإظهار بدوره استلزم إظهار صدق رسول الله ﷺ وهو المقصود الأول من الإعجاز.

وجوه الإعجاز في النَّص القرآني :

يتمثَّلُ إعجاز القرآن في وجوهٍ ذكر العلماء بعضها صراحة واستقلالاً وبينوها بياناً واضحاً، وأشاروا إلى بعضها الآخر ضمناً وأوجزوها، ومن هذه الوجوه نذكر[12]:

---

[6] . أخرجه مسلم في صحيحه، مرجع سابق، ج8 ص 51.

[7] . ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعرفة القاهرة ، مادة (عجز) ، ج4 ص ، 2817.

* ضلع الدَّيْنِ : ثقله وشدَّته.

[8] . صحيح البخاري، مرجع سابق، ج5 ص، 2342

[9] . ابن حجر العسقلاني، (أحمد بن علي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت ، 1379هـ ، ج11 ص، 178.

[10] . لسان العرب، مرجع سابق، مادة (عجز) ، ج4 ، ص 2817.

[11] . الزرقاني، (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر بيروت، 1996م ، ج 2، ص 238.

[12] . محمد السيد جبريل: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ص 39 .

أولاً - إعجازه في بلاغته وفصاحته :كان هذا الوجه أول ما تناوله العلماء بالبحث، وكان قدراً مشتركاً بينهم في الحديث عن الإعجاز، كما أفردوه بالتصنيف. ونطالعُ في هذا الشأن ما جاء في قِصَّةِ الوليد بن المغيرة لما سَمِعَ من النَّبي (ﷺ):[إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ] (النحل : 9) ، قال: والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّ أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر[3]، وذكر أبو عبيد أنَّ أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ] (الحجر : 94) فسجد وقال: سجدتُ لفصاحته، وسمع رجلاً آخر يقرأ [فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا] (يوسف : 80) ؛ فقال : " أشهد أنَّ مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام"[13]. وإذا كان العرب - وهم بهذه المنزلة بلاغةً وفصاحةً - قد عجزوا هذا العجز التام المطبق، فغيرهم أشد عجزاً ، وأبعد هزيمة.

ثانياً- إعجازه في نظمه وأسلوبه : تفرد أسلوب القرآن ونظمه وتفوق على أساليب العرب ونظمهم رغم بلاغتهم، وبلوغهم الغاية في هذا المضمار، ومن أبرز شواهد هذا التَّميُّز ما يلي:

أ. جَمَعَ القرآنُ في أسلوبه ونظمهِ بين مقصدين : مقصد الموعظة ، ومقصد التشريع ، فنظمه يفيد بظاهره السَّامع ما يحتاج إلى علمه، وهو في ذلك يشبه خطب العرب، ومع ذلك فقد ضمَّ معناه ما يستخرج منه العلماء الأحكام الكثيرة في التشريع، وفي الآداب وغيرها.

ب. تفننه، وبراعة تنقلاته من فنٍّ إلى فن وبطرائق متعدِّدة .

ج. عدوله عن تكرار اللفظ والصيغة فيما لا يقتضي التكرار بقصد التهويل ونحوه: ومما عدل فيه عن التكرار قوله تعالى: [إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا] (التحريم : 4)، فجاء في الآية لفظ قلوب جمعاً مع أنَّ المخاطب امرأتان ولم يكرر الصيغة ويقل "قلباكما" تجنباً لتعدُّد صيغة المثنى.

د. براعته في تصريف القول، وثروته في أفانين الكلام: إذ يبرز المعنى الواحد بألفاظ وطرق مختلفة بقدرة عظيمة لا تقاربها قدرة فصحاء العرب. وهذا الوجه والذي قبله يُسَّمى" الإعجاز البلاغي والبياني " يقوم بهما لفظ القرآن، ويتفرَّدُ عن غيره من الكلام، وما أحسن قول أبى سليمان الخطابي : "وإنَّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه "[14].

ثالثاً- إعجاز في إخباره بالغيوب المستقبلة : مما جاء به القرآن الكريم في مجال إعجاز البشر، أنَّه أخبر بأمور تقع في المستقبل، فجاءت كما أخبر، لم تتخلف أو تتغير، وهذا ما لا سبيل للبشر إليه بحال[15]، وذلك في القرآن كثير.. [ألم. غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرَضِ ..] (الروم : 1-3).

رابعاً- إعجازه في إخباره عن القرون السابقة والأمم البائدة : فقد حفل القرآن بأخبار السابقين الأولين من الرسل مع أقوامهم، ومن غير الرسل، فجاء فيه قصص: آدم ونوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى ويحيى وزكريا

---

[3] . الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، 1957م، ج 2 ، ص 110. وانظر: القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر ، 1423هـ، 2002م ، فصل (إعجاز القرآن) ، ص 262.

[13]. القاضي عياض ، الشفا ، مرجع سابق ، ص262.

[14]. البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق، ج 2 ، ص 102.

[15]. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 43.

وعيسى وغيرهم عليهم جميعاً السلام، كما جاء فيه قصص: ابني آدم، وأصحاب الكهف، وأصحاب السبت، وأصحاب الجنة، وأصحاب الأخدود، ولقمان، وقارون وغيرهم.

خامساً- الإعجاز النَّفسي: لا نظنَّ أنَّ شخصاً سليم الفكر والضمير يتلو القرآنَ أو يستمعُ إليه ، ثُمَّ لا يزعم أنَّه لم يتأثر به: قد نقول: فلم يتأثر به؟ والجواب أنَّه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآنُ له بالهداية وسداد التوجيه[16].

سادساً- إعجاز القرآن في هَدْيِهِ وتَشْرِيعِهِ: جاء القرآنُ الكريم بشرائع الهدى لإصلاح الخلق، وإقامتهم على طريق الحقّ والفلاح، فلم تسمُ شريعة من الشرائع أنْ تبلغ ما في شريعة القرآن الَّتي تنطلق في تكاليفها من رحمته سبحانه بعباده، ومراعاة مصالحهم وقدراتهم البشرية[17]، قال الله تعالى: [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..] (البقرة : 286)، وقال تعالى: [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] (البقرة: 185). وقال عز وجل : [مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ] (المائدة: 6). لقد ألزم تشريع القرآن بالواجبات إلزاما، ثُمَّ هو بعد ذلك جعل للضرورات أحكامها [فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (المائدة: 3)، [فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (الأنعام: 145). وجعل للرخص مجالاتها: [مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] (النحل : 106).

سابعاً- الإعجاز العلمي: لا زالت الكشوفات العلمي تخبرنا كل يوم عن صدق ما أقرَّه وقرره القرآن منذ بعثة النبي (ﷺ) إلى يومنا هذا.

جماليات النظم القرآني بين قصدية المعنى وتحقيق الإعجاز من خلال بعض السور:

لإعجاز النظم عدَّة مظاهر تتجلَّى فيها جمالياته ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أولاً- **الخصائص المتعلقة بالأسلوب** من خلال سورة الفاتحة : [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ(7)]. يقول القرطبي: "معنى الحمد لله رب العالمين أي سبق الحمد مني لنفسي أن يحمد نفسه أحد من العالمين، وحمدي نفسي لنفسي في الأزل لم يكن بعلة ، وحمدي الخلق مشوب بالعلل "[18] ومعنى الحمد الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال، و"الحمد أنْ تذكر محاسن الغير سواء أكان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل"[19]. و" الحمدُ لله " جاءت جملةً اسميَّةً ولم تأتِ جملةً فعليَّة ؛ فالجملة الفعلية (التي تبدأ بفعل المضارع) تدلُّ على التجدُّدُ والحدوث ، بينما

---

[16]. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مرجع سابق ، ص 43

[17]. المرجع السابق، ص 54.

[18]. القرطبي ، (أبو عبد الله محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب ، الرياض، 2003م، ج1 ص135.

[19]. السامرائي ، (فاضل بن صالح): لمسات بيانيَّة في نصوص التنزيل، دار عمار ، الأردن ، 1423هـ / 2003م، ص 11.

تدلُّ الجملة الاسمية على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية)[20]. فالجملة الاسميَّة أدلُّ على ثبات الحمد واستمراره. ومن حكمة الله أنْ جاء سبحانه وتعالى باسمه (الله) فلفظ الجلالة (الله): "..علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وهو الاسم الأعظم عند الجمهور، ولدلالته على اتصافه تعالى بجميع المحامد اختير في مقام الحمد على سائر الأسماء، فلم يقل الحمد للرحمن مثلاً.."[21] ؛ لأنَّه إذا جاء بأي اسم آخر غير العلم لدلَّ على أنَّه تعالى استحق الحمد فقط بالنسبة لهذا الاسم خاصة، و(الحمد لله) ناسبت ما جاء بعدها (إياك نعبد) ؛ لأنَّ العبادة كثيراً ما تختلط بلفظ الجلالة (الله) فهو الإله المعبود مأخوذة من أَلِهَ (بكسر اللام) ومعناها عبد قال ابن منظور: " . وقيل في اسم الباري سبحانه (الله) إنه مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَه إذا تحيَّر؛ لأَن العقول تَأْلَهُ في عظمته . وقيل هو مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا أَي لجأَ إليه؛ لأَنه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كل أَمر. والتَّأَلُّهُ التَّنَسُّك والتَّعَبُّد والتأْليهُ التَّعْبيد "[22] ، فلفظ الله مناسب للعبادة.

[رب العالمين] : الربُّ هو: هو المالك المتصرف ويأتي صفةُ فعل ، وصفة ذات؛ وذلك لما في معاني اشتقاق الربِّ، فقد قيل: إنَّ الربَّ مشتق من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مدبرٌ لخلقه ومربيهم فيكون صفة فعل ، وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات"[23] ، ولا يُقال: (الربّ) معرَّفاً بالألف واللام إلا لله تعالى. ولا يجوز استعمال كلمة (الربّ) لغير الله إلا بالإضافة فتقول: ربّ الدار، وربّ السيف، والربُّ هو: المالك والسيِّد والمربي والمنعم والقيِّم، فإذن ربُّ العالمين هو ربُّهم ومالكهم وسيِّدُهم ومربِّيهم والمنعم عليهم وقيُمهم لذا فهو أولى بالحمد من غيره.

والعالمين : "جمع عَالَم، والعَالَم هو كل موجود سوى الله تعالى .. وقال ابن عباس : العالمون الجن والإنس ، دليله قوله تعالى : [لِيَكونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً] (الفرقان :1) ولم يكن نذيراً للبهائم. وقال الفراء وأبو عبيدة : العالم عبارة عمَّن يعقل ، وهم أربعة أمم : الإنس والجن والملائكة والشياطين. ولا يقال للبهائم : عالم ، لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة"[24] . ومن حكمة اختيار لفظ "العالمين" ؛ لأنَّ السورة كلها في المكلَّفين، وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله، وتقسيم الخلق كله خاص بأولي العقل والعلم لذا كان من المناسب اختيار "العالمين" على غيرها من المفردات أو الكلمات.. أما اختيار كلمة رب لمناسبتها ما بعدها (اهدنا الصراط المستقيم)؛ إذ إنَّ الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف والتربية، وهي أشهر معانيه وأولى مهام الرب الهداية لذا اقترنت الهداية كثيراً بلفظ الرب كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى[25].

[الرَّحمن الرَّحيم] : الرحمن على وزن (فَعْلان) ، والرحيم على وزن (فعيل) ، وفعلان في اللغة العربية تدلُّ على: الحدوث والتجدد والامتلاء ووصول الموصوف بها لأقصى حد ؛ فيقال غضبان بمعنى امتلأ غضباً ، أمَّا صيغة (فعيل) فـ " تدل على الثبوت في الصفة، نحو: طويل وجميل وقبيح، أو التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، نحو: خطيب

---

[20] . الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1419هـ، ص 99. وانظر: ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر): بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، ج2 ، ص 638.

[21] . المارغني (أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد): دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الحديث- القاهرة ، ص 32.

[22] . لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة (أله) ، ج 13، ص 467.

[23] . الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 137.

[24] . المرجع السابق ، ج 1 ، ص 138.

[25] . برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت – 1415هـ /1995م ، ج 8 ، ص 612.

وبليغ وكريم. فجاء بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة والمتجددة، هي الرحمة للاحتياط في الوصف"[26] ؛ لذا جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معاً ؛ وجاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين ليدل على أن صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة ويدل على أن رحمته لا تنقطع.

إذاً فالرحمن على وزن فعلان لتدل على

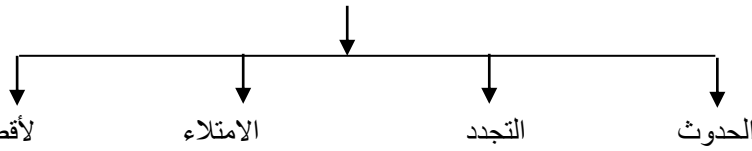

والرحيم على وزن فعيل لتدلَّ على الثبوت ، ولعلَّ مجيء (الرحمن الرَّحيم) بعد كلمة الرَّب يدلُّنا على أنَّ الرحمة هي من صفات الله تعالى العليا، وفيها إشارة إلى أنَّ المربي يجب أنْ يتحلَّى بالرَّحمة، وتكون من أبرز صفاته وليست القسوة. [مالك يوم الدين] : هناك قراءة سبعية[27] (ملك يوم الدين)، وكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والملك. و(الدين) بمعنى الجزاء وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين ، وكلمة الدين انسب للفظ رب العالمين وانسب للمكلفين.

[إياك نعبد وإياك نستعين]: وفي تقديم المفعولَينِ (إياك) للفعلين (نعبد) و(نستعين) اختصاص ؛ لأنَّه سبحانه وتعالى وحده له العبادة لذا لم يقل نعبدك ونستعينك؛ لأنَّها لا تدلُّ على التخصيص بالعبادة لله تعالى، أمَّا قول (إياك نعبد) فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده وكذلك في الاستعانة (إياك نستعين) تكون بالله حصراً. وقد كرَّر الله سبحانه وتعالى (إياك) مع فعل الاستعانة ولم يقل إياك نعبد ونستعين ؛ ولعلَّ هذا التكرار يفيد التنصيص على حصر المستعان به ؛ ولو أنَّنا اقتصرنا على ضمير واحد (إياك نعبد ونستعين)؛ لَفُهِمَ من ذلك أنَّه: لم يُعْنَ المستعان وإنَّما عُنِيَ المعبود فقط . ولا يتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة ؛ فلا يُعبد بدون استعانة ولا يُستعان به بدون عبادة. وهذا غير وارد وإنَّما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ونستعين به على وجه الاستقلال وقد يجتمعان لذا وجب التكرار في الضمير: (إياك نعبد وإياك نستعين) فضلاً عن أنَّ التَّكرار توكيد في اللغة ، في التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف. إياك نعبد وإياك نستعين : أطلق سبحانه وتعالى فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين على شيء أو نستعين على طاعة أو غيره ، إنَّما أطلقها لتشمل كل شيء وليست محددة بأمر واحد من أمور الدنيا. وتشمل كل شيء يريد الإنسان أنْ يستعين بربّه ؛ لأنَّ الاستعانة غير مقيدة بأمر مُحَدَّد. وفي اقتران العبادة بالاستعانة في الآية الكريمة قصديَّة عجيبة تدلُّ على أنَّ الإنسان لا يستطيع أنْ يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوفيقه ، فهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بشيءٍ إذا لم يُعِنْهُ الله تعالى على ذلك، والاستعانة بالله علاج لغرور الإنسان وكبريائه ، وفي الاستعانة بالله اعتراف من الإنسان بضعفه. قال الإمام عليٌّ τ في قصيدة له: (بحر الطويل)

إذا لَم يَكُن عَونٌ مِنَ اللهِ لِلفَتى فَأَكثَرُ ما يَجني عَلَيهِ اِجتِهادُهُ[28]

---

[26]. لمسات بيانية في نصوص التنزيل، مرجع سابق، ص 24.

[27]. قرأ (عاصم والكسائي) مالك يوم الدين (بالألف) وقرأ الباقون (بغير ألف) مِلكِ يوم الدين. انظر التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط 2، 1404هـ/ 1984م، ص 15.

[28]. الأصفهاني، (أبو القاسم الحسين بن محمد): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق عمر الطباع، دار القلم ، بيروت،1420هـ-1999م، ج1 ، ص 532.

ومن حكمة تقديم العبادة على الاستعانة أنَّ : العبادة هي علة خلق الإنس والجن : [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: 56) ، والاستعانة وسيلة للعبادة فالعبادة أولى بالتقديم. يقول ابن القيم: " وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها "[29]. وفي هذه السورة لون بلاغيٌّ بديع يسمى الالتفات*؛ إذ إنَّ السورة بدأتْ بـ: (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) وهذه كلها من أسلوب الغيبة أي كلها للغائب ثمَّ انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين). فلو قسنا على سياق الآيات الأولى لكان أولى القول (إياه نعبد وإياه نستعين) ، ولعلَّ الفائدة التي يقتضيها المقام هي أنَّ الكلام من أول الفاتحة إلى (مالك يوم الدين) كله ثناء على الله تعالى، والثناء يكون في الحضور والغيبة والثناء في الغيبة أصدق وأولى. أمَّا (إياك نعبد وإياك نستعين) فهو دعاء والدعاء في الحضور أولى[30] ؛ إذاً فالثناء في الغيبة أولى، والدعاء في الحضور أولى والعبادة تؤدَّى في الحاضر وهي أولى.

(اهْدِنا الصِّراطَ المستَقيمَ): هذا دعاء له أثره في الدنيا والآخرة ويدل على أن الإنسان لا يمكن أنْ يهتدي للصراط المستقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك ؛ فالهداية : هي الإلهام والدلالة. وهذا يعني أنَّ الله سيهديك إلى الطريق الصحيح في حياتك وعملك ويهديك إلى اتخاذ القرار المناسب في كل شؤون حياتك، والهداية لا تقتصر على الهداية الدينية بل جميع أنواع الهداية تتحقق لك.

ومن بلاغة التعبير القرآني اختيار (كلمة الصراط) بدلاً عن الطريق أو السبيل؛ وذلك لأنَّ (الصراط) على وزن (فِعال بكسر الفاء) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كـ(الحزام) و(الخمار) و(الغطاء)، فهذه الصيغة تدلُّ على الاشتمال بخلاف كلمة الطريق التي لا تدلُّ على نفس المعنى. (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون ، وأُطْلِقَ الإنعام ليشمل كل إنعام ؛ لأنَّ من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبقَ نعمة إلا أصابته واشتملت عليه[31]، ومن جمال التعبير القرآني أنْ عَبَّرَ عن الذين أُنْعِم عليهم باستخدام الفعل (أنعمت) والمغضوب عليهم والضالين بالاسم ؛ فالاسم يدل على الشمول ويشمل سائر الأزمنة من المغضوب عليهم فضلاً عن دلالته على الثبوت. أمَّا الفعل فيدل على التَّجدد والحدوث فوصفه أنَّهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام. "والحكمة من العطف بـ (لا) في (ولا الضالين) فقال: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، ولم يأتِ التعبير القرآني: (غير المغضوب عليهم والضالين)، ولعلَّ ذلك أنَّك إذا حذفت (لا) يمكن أن يُفهم أنَّ المباينة والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة، أما من لم يجمعها (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فلا يدخل في الاستثناء"[32]، وقد قدَّم الله تعالى (المغضوب عليهم) على (الضالين) ؛ لأنَّ المغضوب عليهم : الذين عرفوا ربهم ثم انحرفوا عن الحق وهم أشدُّ بُعْدَاً لذا بدأ

---

[29]. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، دار ومكتبة الهلال – بيروت، 1410 هـ ، ص 70.

* الالتفات العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس.. وهو ثلاثة أقسام ذكرها ابن الأثير في المثل السائر ج2 ص 167، وابن حجة الحموي في خزانة الأدب ج1 ، ص 134.

[30]. الفخر الرازي (محمد بن عمر التميمي): مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، ط 1، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1421هـ - 2000م، ج1 ، ص 204.

[31]. الزمخشري ، (جار الله محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1 ، ص 58.

[32]. لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، مرجع سابق، ص 30.

بالمغضوب عليهم ، واليهود أسبق من النصارى ولذا بدأ بهم واقتضى التقديم. وصفة المغضوب عليهم هي أول معصية ظهرت في الوجود وهي صفة إبليس عندما أُمر بالسجود لآدم عليه السَّلام وهو يعرف الحق ومع ذلك عصى الله تعالى وهي أول معصية ظهرت على الأرض أيضاً عندما قتل ابن آدم أخاه فهي إذاً أول معصية في الملأ الأعلى وعلى الأرض .

يقول الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: " وخاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها فمن لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ومن لم يؤمن بيوم الدين وأنَّ الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملكه ومن لم يخص الله تعالى بالعبادة والاستعانة ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم فهم جميعاً مغضوب عليهم وضالون. ولقد تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله (الحمد لله رب العالمين) واليوم الآخر (مالك يوم الدين) والملائكة والرسل والكتب (اهدنا الصراط المستقيم) لما تقتضيه من إرسال الرسل والكتب. وقد جمعت هذه السورة توحيد الربوبية (رب العالمين) وتوحيد الإلوهية (إياك نعبد وإياك نستعين) ولذا فهي حقاً أم الكتاب"[33] .

وفي هذه السورة من الأسرار ما لا يمكن إحصاؤها فالحمد لا يكون إلا لله تعالى؛ لأنَّه ربَّ هذا الكون وربّ العالم وربّ العالمين، وهو الرحمن الرحيم الذي نحتاج لرحمته ، وهو (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الذي يوفّي الله فيه كل نفس ما كسبت وهو مالك هذا اليوم؛ فحقَّاً (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)؛ لأنَّ العبادة لا تكون إلا لله، وأنَّ الاستعانة لا تكون إلا بالله، ومنه نطلب الهداية. وكلُّ لفظٍ فيها مقصودٌ لذاته، ولا يمكن استبداله بغيره ؛ إذ لا يتحقق الإعجاز إلا به .

ثانياً ـ جماليات النص القرآني بين الإعجاز والقصدية في سورة الكهف:

سورة الكهف مكيَّة، وهي واحدة من بين خمس سور بدأت بـ (الحمد لله) : (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر) ، وهذه السورة ذكرت أربع قصص قرآنيَّة هي : أهل الكهف ، صاحب الجنتين، موسى (عليه السلام) والخضر، ذو القرنين. وقصص سورة الكهف الأربعة يربط بينها محور واحد وهو أنَّها تجمع الفتن الأربعة في الحياة : فتنة الدين (قصة أهل الكهف) ، فتنة المال (صاحب الجنتين)، فتنة العلم موسى والخضر (عليهما السلام) ، فتنة السلطة (ذو القرنين). وهذه الفتن شديدة على النَّاس والمحرك الأساسيّ لها الشيطان الذي يُزيِّنُ هذه الفتن لذا جاءت الآية: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا] (الكهف:50) ؛ ولهذا أخبر الرسول (ﷺ) أنَّه : " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ " [34] ؛ لأنَّه سيأتي بهذه الفتن الأربعة ليفتن الناس .

وإن تأمَّلنا هذه السورة نجدُ فيها إعجاز في التعبير القرآني الذي فرَّق بين الإرادة في قصة موسى والخضر (عليهما السلام) في خرقِ السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار ، وإلى هذا أشار الرازي في تفسيره قائلاً: " اختلفت الإضافة في هذه الإرادات الثلاث وهي كلها في قصة واحدة ؛ لأنه لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه فقال : أردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية ، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى ، لأنَّ المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى"[35] فجاء التعبير القرآني مستخدماً : (فأردت)، (فأردنا)، (فأراد ربك) ،

---

[33]. لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، مرجع سابق، ص 31.

[34] . صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج2 ، ص199.

[35]. تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، مرجع سابق ، ج 21 ، ص138.

والملاحظ في القرآن كله أنَّ الله تعالى لا ينسب السوء إلى نفسه ؛ أمَّا الخير والنِعم فكلها منسوبة إليه تعالى ، فلا نجد في القرآن : (زيّن اللهُ لهم سوءَ أعمالهم) ، وإنَّما نجد (زُيّن لهم سوء أعمالهم) ببناء الفعل للمجهول؛ لذا جاءت الإرادة الأولى: [أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً] (الكهف:79)، في هذه الآية لم ينسب الله تعالى العيبَ إلى نفسه أبداً فكان الخضر هو الذي عاب السفينة فجاء الفعل مفرداً (فأردتُ) بل نسب الخضر العيب لنفسه تأدُّباً مع الله عزَّ وجلَّ.

أمَّا الإرادة الثانية: [فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً] (81) ، ففي الآية الكريمة اشتراك في العمل (قتل الغلام والإبدال بخير منه) فجاء بالضمير الدالّ على الاشتراك ؛ فجاء جانب القتل من الخضر والإبدال من الله تعالى لذا جاء الفعل مثنّى (فأردنا).

والإرادة الثالثة: [وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً] (82) فبناء الجدار خير ؛ لذا نسب الفعل لله وحده وأنَّه يدلّ على أن الله تعالى هو علاّم الغيوب وسبق في علمه أن هذا الجدار تحته كنز للغلامين اليتيمين ، وأنّه لو سقط سيأخذ أهل القرية المال من الأولاد اليتامى وهذا ظلم لهم والله تعالى ينسب الخير لنفسه عزّ وجلّ. وهذا الفعل في الآية ليس فيه اشتراك وإنما هو خير محض للغلامين ، وأبوهما الصالح والله تعالى هو الذي يسوق الخير المحض. وجاء بكلمة رب في الآيات بدل لفظ الجلالة (الله) للدلالة على أن الرب هو المربي والمعلِّم والراعي والرازق والآيات كلها في معنى الرعاية والتعهد والتربية لذا ناسب بين الأمر المطلوب واسمه الكريم سبحانه وتعالى ، وإلى هذا أشار القرطبي : "لما كان ذلك خيرا كله أضافه إلى الله تعالى وأضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب لأنها لفظة عيب فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه ، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله : [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ] فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى ، وأسند إلى نفسه المرض ، إذ هو معنى نقصى ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح "[36].

وفي السورة ذاتها يأتي التعبير القرآني ليفرّق بين الفعلين " **تَسْطِعْ** " و " **تَسْتَطِعْ** "، والفعلين: " **اسطاعوا** " و " **استطاعوا**" ، فقد ذكر الله تعالى في قصة سيدنا موسى مع الخضر (عليهما السلام) في سورة الكهف ثلاثة أحداث أثارت اعتراض سيدنا موسى وهي خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بدون أجر. وقبل أنْ يفارق الخضر سيدنا موسى ذكر له الحكمة من الثلاثة أفعال. ولكنَّه قبل أنْ يؤوّل سببها قال له: [قال هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي ، وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا] (الكهف: 78). قال القرطبيُّ: " فراق بيني وبينك يا موسى بحكم ما شرطت على نفسك، وتكريره {بَيْنِي وَبَيْنِكَ} وعدوله عن بيننا لمعنى التأكيد.. وقال ابن عباس : وكان قول موسى في السفينة والغلام لله، وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا فكان سبب الفراق"[37] ، وبعدما أوَّلَ الخضر عليه السلام لسيدنا موسى الأحداث قال له: [ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا]، فجاء التعبير القرآني في الآية الأولى : (**تستطع**) وفي الثانية (**تسطع**) ، اختلف المفسرون واللغويون في ذلك على أقوال؛ منها ما قاله الفخر الرازي : " فحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء {فَمَا

---

[36]. الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج 11 ، ص 33.

[37]. المرجع السابق ، ج 1 ، ص 33 .

اسْطَـاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ} أن يعلوه أي ما قدروا على الصعود عليه لأجل ارتفاعه وملاسته ولا على نقبه لأجل صلابته وثخانته"[38] ومن حكمة ذلك أنَّ السياق القرآني قد راعى الحالة النفسية لسيدنا موسى عليه السلام قبل أنْ يعرف تأويل سبب تلك الأفعال التي أنكرها فناسَب إظهار التاء في **"تستطع"** لبيان ثقل هذا الأمر عليه بسبب الهم والفكر الحائر. فصار بناء الفعل ثقيلاً (خمسة أحرف) فناسب ثقل الهم ثقل بناء الفعل. وحذف التاء من كلمة " تسطع " مما جعل بناء الفعل مخففاً (أربعة أحرف) وهذا التخفيف مناسب للتخفيف في مشاعر سيدنا موسى بعد أنْ علم الحكمة من أفعال الخضر فارتاحت نفسه وزال ثقلها. ومثل ذلك في نفس السورة الكريمة عند الحديث عن سد ذي القرنين الذي بناه ليمنع خروج يأجوج ومأجوج قال تعالى: [فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ* وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا] (الكهف: 97)، والضمير في (اسطاعوا) (واستطاعوا) عائد لـيأجوج ومأجوج، ومعنى يظهروه: يتسلقوه ؛ إذ إنَّ الظهور العلو، أما النَّقب فهو كسر الردم ، أي يخرقوه، ويرى ابن عاشور أنَّ في الجمع بين (اسطاعوا) و(استطاعوا) تفنن في فَصَاحَةِ الْكَلَامِ كَرَاهِيَةَ إِعَادَةِ الْكَلِمَةِ. وَابْتُدِئَ بِالْأَخَفِّ مِنْهُمَا لِأَنَّهُ وَلِيَهُ الْهَمْزُ وَهُوَ حَرْفٌ ثَقِيلٌ لِكَوْنِهِ مِنَ الْحَلْقِ، بِخِلَافِ الثَّانِي إِذْ وَلِيَهُ اللَّامُ وَهُوَ خَفِيفٌ. وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُبْتَدَأَ بِفِعْلِ اسْتَطَاعُوا وَيُثَنَّى بِفِعْلِ اسْطَاعُوا لِأَنَّهُ يَثْقُلُ بِالتَّكْرِيرِ"[39] ، ويرى السامرائي أنَّ حذف التاء في {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}؛ " لأنَّ المعنى هو عدم استطاعتهم تسلق السد لكونه أملساً وخالياً من أيّ نتوء يمكن الإمساك به. وبما أنَّ التسلُّق يحتاج خفة ورشاقة ومهارة فكلَّما كان الشخص أخفَّ كان تسلقه أسهل"[40].. تقول العرب : (الزيادة في المبنى زيادة في المعنى في غالب الأحيان) فما بناه ذو القرنين من جدار حديديٍّ مذاب أملس عالٍ ، يصعب على المتسلِّق وعلى من يريد أن يثقبه، فجاء تخفيف بناء الفعل كأنَّه يشارك المتسلق في تحمَّل بعض أحماله. أمَّا " مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " فقد أثبت التاء لأنَّ ثقب الجدار يحتاج معدات ثقيلة فكلَّما كانت المعدات أثقل كان النقب في السد أيسر.. وكذلك لأنَّ النقب يحتاج إلى جهد عضلي أكبر. ولعلَّ هذا يشير إلى إعجاز القرآن في ألفاظه ومعانيه التي تأتي متَّسقةً مع متساندة في الوفاء بالمقصود ، وهذا قمَّة الإعجاز .

قَصْدِيَّةُ المعنى في التعريف والتنكير :

لو تأمَّلنا قوله تعالى : [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُـوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُـوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ] (الروم : 54). نجد أن كلمة (ضعف) قد تكررت ثلاث مرات ، بينما تكررت (قوة) مرتين ، والمعروف أنَّ النكرة إذا تكررت فإنَّها في كل مرة تفيد معنى جديداً ، وهذا من قمَّة جمال النص القرآني الذي لا يمكن أن تحل مفردة محل أخرى؛ لأننا إذا تأملنا معاني كلمة (ضعف) نتبيَّن الفرق، فـــ:

-الضعف الأول: النطفة (ضعيفة فهي ماء مهين).

---

[38]. تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، مرجع سابق، ج 21، ص 500.

* معنى يظهروه: يتسلقوه .. ومعنى نقباً : نقضه بالحفر.

[39]. ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد): تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984م ، ج 16، ص 38.

[40]. لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، مرجع سابق ، ص 293.

-والضعف الثاني: الطفولة (لأنَّه بحاجة إلى رعاية أمه في مرحلة الرضاع وعناية خاصة حتى يجتاز مرحلة المراهقة ويصل البلوغ).

-والضعف الثالث: الشيخوخة (لأنَّه يعود في مرحلة الشيخوخة ضعيفا عاجزاً.. ضعيف الفكر.. ضعيف الحركة والسعي والنشاط).

واللطيف في الآية أنَّ (قوة) وردتْ نكرة وكررت مرتين؛ إذاً فالقوة الأولى غير القوة الثانية فـ:

-القوة الأولى: قوة فترة الصِّبا (الصبي قوي مندفع كثير الحركة).

-والقوة الثانية: قوَّة الشباب(قوة الجسم والمشاعر والأحاسيس والهمة والعزيمة والانطلاق في الفكر والأحلام والطموح).

[ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا] ، فالقوة الأولى تقود إلى القوة الثانية. الضعف : وهو جنين في بطن أمه . الضعف : وهو رضيع في حضن أمه . القوة: وهو صبي مندفع . القوة : وهو شاب نشيط فاعل . الضعف : وهو شيخ عجوز هرم . وكأنَّ المقصود – فيما يرى ابن كثير: " الإخبارُ عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار؛ ولهذا قال: [أَفَلا يَعْقِلُونَ] أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشَّبيبَة، ثم إلى الشيخوخة؛ ليعلموا أنهم خُلقوا لدار أخرى، لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة "[41] .

وتتجلى روعة الإعجاز البياني القرآني في التعبير الحق البليغ عن أدق التفاصيل بأقل عدد من الكلمات في نظم محكم بديع، دون أن يخل بالسياق ... في جرْس موسيقي يأخذ بالألباب . نكرة مكررة مرتين : [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً] (الشرح 5-6) سورة الشرح . العسر : المشقة في تحصيل المرغوب والعملِ المقصود . واليسر ضده وهو : سهولة تحصيل المرغوب وعدم التعب فيه. وجملة : (إنَّ مع العسر يسراً) مؤكدة لجملة : (فإنَّ مع العسر يسراً) وفائدة هذا التأكيد تحقيق اطراد هذا الوعد وتعميمه ؛ لأنَّه خبر عجيب . ويرى الكرماني: أنَّ في " قوله تعالى:[فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] ليس بتكرار ؛ لأنَّ المعنى: إنَّ مع العسر الذي أنت فيه من مقاساة الكفار يسراً في العاجل، وإنَّ مع العسر الذي أنت فيه من الكفار يسراً في الآجل. فالعسر واحد واليسر اثنان "[1]. وقد ورد في الخبر أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) خرج يوماً مسروراً فَرِحَاً وهو يضحك ويقول: (لن يغلب عسرٌ يسرينِ إنَّ مع العسر يسراً * إنَّ مع العسر يسراً)[2].

قال القشيري: كنت ذات ليلة في البادية بحالةٍ من الغمِّ فألقي في روعي بيت من الشعر فقلتُ :

أرى الموت لمنْ أمسى ... على الذلِّ له أصـــلحْ

فلمَّا جنَّ الليل سمعتُ هاتفاً يهتف :

ألا يا أيُّها المـــــرء الذي الهـــمُّ بـه بـــرَّحْ

إذا اشتدَّ بك العســرُ ففكِّر في ألم نشـــرحْ

فعسرٌ بين يســـــرينِ إذا أبصـــــرتَه فـافرحْ

فإنَّ العُسرَ مقـــرونٌ بيســـــــــرينِ فلا تتْرحْ

---

[41]. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر ، السعودية ، 1420هـ / 1999م ، ج 6 ص 588.

[1]. الكرماني: أسرار التكرار في القرآن ، ط3 طبعة دار الاعتصام - القاهرة ، 1396 ، ص 221.

[2]. شعب الإيمان للبيهقي ، مرجع سابق ، ج 7 ، ص 206.

قال: فحفظتُ الأبيات ففرَّج الله عني[42].

جمالية النص وقصدية المعنى وتحقيق الإعجاز من خلال قصة سيدنا موسى (عليه السلام):

في هذا السياق نبيّنُ جانباً من قصديَّة المعنى في النص القرآني، مجيء كلمة (ثعبان) تارة وكلمة (حيَّة) تارة أخرى وذلك في سياق قصة سيدنا موسى عليه السلام. وقد يظن البعض أنَّ المعنى واحد، وأنَّ هذا الأمر من باب التنويع وشد انتباه القارئ فقط، ولكن عند السبر في أغوار هذا الموضوع تظهر الحكمة البيانية الرائعة التي تُثْبِتُ أنَّ كلَّ كلمة في القرآن الكريم إنَّما تأتي في الموضع المناسب، ولا يمكن أبداً إبدالها بكلمة أخرى، وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم. ولكي نُوضح الحكمة من تعدُّد الكلمات عندما نبحث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون نجد أنَّها تكرَّرتْ في مناسبات كثيرة، **ولكن العصا ذُكرتْ في ثلاث مراحل من هذه القصة**:

1- عندما كان موسى سائراً بأهله ليلاً فأبصر ناراً وجاء ليستأنس بها ، فناداه الله أنْ ألقي عصاك.

2- عندما ذهب موسى إلى فرعون فطلب منه فرعون الدليل على صدق رسالته من الله تعالى فألقى موسى عصاه.

3- عندما اجتمع السَّحَرة وألقوا حبالهم وعصيّهم وسحروا أعين الناس، فألقى موسى عصاه.

هذه هي المواطن الثلاثة حيث يلقي فيها موسى العصا في قصته مع فرعون. ولكن كيف تناول البيان الإلهي هذه القصة وكيف عبّر عنها؟ وهل هنالك أي تناقض أو اختلاف في استخدام الكلمات القرآنية؟

الموقف الأول:

ففي الموقف الأول نجد عودة سيدنا موسى إلى مصر بعد أنْ خرج منها، وفي طريق العودة ليلاً أبصر ناراً فأراد أنْ يقترب منها ليستأنس فناداه الله تعالى، وأمره أنْ يلقي عصاه، فإذا هي تتحول إلى حيّة حقيقية تهتز وتتحرك وتسعى، فخاف منها، فأمره الله ألا يخاف وأنَّ هذه المعجزة هي وسيلة لإثبات صدق رسالته أمام فرعون. ولو بحثنا عن الآيات التي تحدثت عن هذا الموقف، نجد العديد من الآيات وفي آية واحدة منها ذكرت الحيّة، يقول تعالى: [وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى] (طه : 17 - 21).

الموقف الثاني:

أمَّا الموقف فيتمثل بقدوم موسى عليه السلام إلى فرعون ومحاولة إقناعه بوجود الله تعالى، وعندما طلب فرعون الدليل المادي على صدق موسى، ألقى عصاه فإذا بها تتحول إلى ثعبان مبين. ولو بحثنا عن الآيات التي تناولتْ هذا الموقف نجد عدة آيات، ولكن الثعبان ذُكر مرتين فقط في 1. قوله تعالى: [وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ* قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ] (الأعراف 104 - 109).

2. قوله تعالى: [قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ* قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ

[42] . الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ج7، ص 264.

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ] (الشعراء:23 – 34).

الموقف الثالث:

بعدما جمع فرعون السحرة وألقوا الحبال والعصيّ وسحروا أعين الناس وخُيّل للناس ولموسى أنَّ هذه الحبال تتحرك وتهتز وتسعى، ألقى موسى عصاه فابتلعت كل الحبال والعصي، وعندها أيقن السحرة أنَّ ما جاء به موسى حق وليس بسحر، فسجدوا لله أمام هذه المعجزة. وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف في العديد من سوره، ولكنَّنا لا نجد أي حديث في هذا الموقف عن ثعبان أو حية، بل إننا نجد قول الحق تبارك وتعالى: [ق وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ] (الأعراف: 117).

يقول القرطبي: " ظن موسى أن الله أمره عندما قال له: {أَلْقِهَا يَا مُوسَى} أن يرفضها فرفضها وقيل : إنما قال له ذلك ليعلم موسى أن المكلِّم له هو الله ، وأن موسى رسوله ؛ وكل نبي لابد له من آية في نفسه يعلم بها نبوته. وفي الآية حذف : أي وألق عصاك فألقاها من يده فصارت حية تهتز كأنَّها جان ، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم. وقال الكلبي : لا صغيرة ولا كبيرة. وقيل: إنها قلبت له أولا حية صغيرة فلما أنس منها قلبت حية كبيرة. وقيل : انقلبت مرة حية صغيرة، ومرة حية تسعى وهي الأنثى ، ومرة ثعباناً وهو الذكر الكبير من الحيات. وقيل : المعنى انقلبت ثعباناً تهتز كأنها جانٌّ لها عِظَم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهي حية تسعى.."[43]

وعند تحليل المواقف الثلاثة نجد أنَّ الله تعالى في الموقف الأول قد أمر موسى بأنْ يلقي عصاه وهو في الوادي المقدس، فتحولتْ العصا إلى (حيَّة) صغيرة، وهذا مناسب لسيدنا موسى (عليه السلام)؛ لأنَّ المطلوب أنْ يرى معجزة، وليس المطلوب أنْ يخاف منها، لذلك تحوَّلتْ العصا إلى حية. أمَّا في الموقف الثَّاني أمام فرعون فالمطلوب إخافة فرعون لعلَّه يؤمن ويستيقن بصدق موسى عليه السلام، ولذلك فقد تحوَّلتْ العصا إلى ثعبان، والثعبان في اللغة هو الحية الكبيرة.. وقيل كلُّ حَيَّةٍ ثُعْبانٌ والجمع ثَعابينُ "[44]، وهكذا نجد أنَّ الآيات التي ذُكرتْ فيها كلمة (ثعبان) تختص بهذا الموقف أمام فرعون. ولكن في الموقف الثالث أمام السّحَرَة نجد أنَّ القرآن لا يتحدث أبداً عن عملية تحوُّل العصا إلى ثعبان أو حية، بل نجد أنَّ العصا تبتلع ما يأفكون، وإذا تأملنا الآيات بدقة نجد أنَّ السحرة أوهموا الناس بأنَّ الحبال تتحرك وتسعى، كما جاء في قوله تعالى: [فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى] (طه : 66). وليس المطلوب أنْ يخاف الناس من الثعبان، ولا أنْ تتحول العصا إلى حية، بل المطلوب أنْ تتحرك العصا وتلتهم جميع الحبال والعصِيَ بشكل حقيقي، لإقناع السحرة والناس بأنَّ حبالهم تمثل السحر والباطل، وعصا موسى تمثل الحق والصدق، ولذلك يقول تعالى: [قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ] (الأعراف 115 - 122). فكلمة (حيَّة) لم تُذكر في القرآن إلا مرة واحدة عندما أمر الله موسى أنْ يلقي العصا وهو في الوادي المقدس، فتحوَّلتْ إلى حية

---

[43]. الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج13 ، ص 160.

[44]. لسان العرب ، مادة (ثعب) ، مرجع سابق ، ج 1، ص 236.

تسعى. وجاءت هذه الكلمة مناسبة للموقف. أمَّا كلمة (ثعبان) فقد تكررتْ في القرآن كله مرتين فقط، وفي كلتا المرتين كان الحديث عندما ألقى موسى عصاه أمام فرعون، وكانت هذه الكلمة هي المناسبة في هذا الموقف لأنَّ الثعبان أكبر من الحية وأكثر إخافة لفرعون[45].

وهنا تتكشَّف جماليات النص القرآني وقصديَّته للمعنى في عبارته الدقيقة وتفريقه بين الحيَّة والثعبان والجان ، فالفرق بين كلمتي (الحية) و(الثعبان) من حيث إنَّ

الحية تطلق على الصغير ، بينما يطلق الثعبان على الكبير المخيف، فعندما كان موسى عليه السلام سائراً بأهله ليلاً فأبصر ناراً وجاء ليستأنس بها ناداه الله أن يُلقيَ عصاه وفي هذا مناسبة لسيدنا موسى عليه السلام ؛ لأن المطلوب أن يرى معجزة وليس المطلوب أن يخاف منها، لذلك تحولت العصا إلى حية صغيرة، أمَّا عندما ذهب إلى فرعون فطلب منه فرعون الدليل على صدق رسالته من الله تعالى فألقى موسى عصاه {فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} ؛ فكان دقَّة التعبير القرآني في اختيار (الثعبان) بدلاً من الحية؛ لأنَّ المطلوب إخافة فرعون لعله يؤمن ويستيقن بصدق موسى فتحولت هنا إلى ثعبان ، وعندما اجتمع السَّحَرة وألقوا حبالهم وعصيّهم وسحروا أعين الناس ألقى موسى عصاه [فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ] فلم يبيّن أنها حيَّة أو ثعبان؛ لأنَّ السَّحَرةَ أوهموا الناس بأن الحبال تتحرك وتسعى فكان المطلوب أن تتحرك العصا وتلتهم جميع الحبال والعصِيَ بشكل حقيقي، لإقناع السحرة و الناس بأنَّ حبالهم ليست إلا سحر باطل، وعصا موسى تمثل الحق والصدق ، فالقرآن الكريم دقيق جداً في كلماته ، والكلمة القرآنية تأتي في مكانها المناسب، ولا يمكن إبدال كلمة مكان أخرى ؛ لأنَّ ذلك سيخل بالقصدية ولا يؤدي إلى إعجاز القرآن الكريم الذي قال الله عنه: [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] (فصلت: 42).

القصدية من خلال الدقة المعجزة في التعبير القرآني:

والأمثلة كثيرة نجدها في كل مقطع من مقاطع سور القرآن وخير مثالٍ على ذلك:

قال تعالى: [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] (العنكبوت : 41) فكَمَا صوَّر القرآن الكريم عجز الأصنام، معتمداً على الاستدلال المنطقي، والبرهان العقلي. فإنه يدعو أيضاً إلى استخدام العقل في حقيقة الجهود المبذولة في عبادة من لا يملك ضراً ولا نفعاً ، فالعنكبوت تنسج خيوطها لتحمي نفسها، ولكنّ جهودها ضائعة، لأن بيتها هذا واه ضعيف والاحتماء به ضرب من الوهم، وكذلك المشركون في عبادتهم للأصنام، لا تفيدهم ولا تحميهم، فهي خيوط العنكبوت، في أوهامها وضعفها. "والاستدلال هنا مستمد من واقع الحياة المحسوسة، لإثبات وهم المشركين في عبادة الأصنام، وضعف هذه العبادة لأنها تقوم على أساس واه واهم، وبذلك تؤدي الصورة وظيفتها العقلية، من خلال الصور الكونية الموحية بالتدبير والنظام أوهن الخيوط خيط العنكبوت"[46] ، فصارت الولاية لغير الله- وهي أمر معنوي مجرد- صورة منفرة محقّرة محسوسة مجسمة، فهي كبيت عنكبوت ضئيل هزيل واهن، ويبقى كتاب الله الخالد ومعجزة رسوله الباقية المعين الثرّ والنبع المتدفق للمعارف الراقية والدراسات المتجددة

---

[45]. المهندس عبد الدائم كحيل: الحية والثعبان (إعجاز بياني في قصة موسى عليه السلام) ، ضمن موسوعة الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ، ص 188.

[46]. الراغب (عبد السلام أحمد): وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط1، 1422هـ - 2001م ، ص453.

ولن تنقضي عجائبه ولن يحيط بأسراره مخلوق مهما أوتي من العلم والحكمة. وقد أثبتت بعض الأبحاث العلمية أنَّ الأنثى تأكل الذكر بعد إتمام عملية التزاوج، ثم عند خروج الصغار يقوموا بالتهام الأم ثم إذا وجد الصغار في مكان واحد يلتهم بعضهم البعض وبالتالي الوهن هنا جاء لضعف العلاقة بين أفراد أسرة العنكبوت، والآية دلت على وهن بيت العنكبوت وليس على خيط العنكبوت حتى نذكر من دقته ووهنه، ووصف البيت بالوهن، فالتعبير القرآني مقصودٌ لذاته .

ويأتي التعبير المقصود بزيادة حرف أو نقصانه ومن أمثلة ذلك: { تفرقوا } و { تتفرقوا}:

قال تعالى في سورة آل عمران: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا..] (102-103). ولكن في سورة الشورى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..] (الآية :13) . والسبب في ذلك أنَّ الخطاب في سورة آل عمران للأمة المسلمة وهي أمة واحدة فناسب أنْ يكون الفعل بتاء واحدة. بينما السياق في سورة الشورى عن الإخبار بما وصَّى به الله (تعالى) الأمم السابقة التي بعث الله فيها باقي أولي العزم من الرسل وهي أمم عديدة مختلفة بينها أعوام طويلة جداً. فناسب تعدد التاءات في الفعل تنوُّع الأقوام وطول الزمان التي عاشته مجموع هذه الأمم ـ زيادة حرف آخر له. ومن حكمة ذلك أيضاً أنَّ الأمَّة الإسلامية منهية عن أدنى اختلاف قلَّتْ نسبته لأنَّ ذلك يوهنها فدلَّ على تحريم أيِّ شيء من الاختلاف مهما قَلَّ. ولكن هذا المعنى غير مراد في الأمم الأخرى ؛ لأنَّها انتهت.. فلم يحذف من فعلها شيء فبقي على حاله"[47].

وجاء ذكر الفعل مرتين مرة بصيغة المضارع ومرة بصيغة الماضي في قوله تعالى: [وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .... وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ] (الشورى: 13). أمَّا في سياق آيات سورة آل عمران فقد ذُكِرَتْ مرة واحدة فقط ؛ ولذلك جاء الفعل بتاء واحدة. وهكذا هو السياق القرآني المعجز.. يختار الحروف التي تتوافق مع السياق وتتناسب مع المعنى والصياغة ، فقد تَقِلُّ الحروف في اللفظ وقد تزيد .. ويُحذف الحرف حذفاً مقصوداً ويُثبت كذلك.. لخدمة بيان المعنى المراد في أروع صورة بلاغية. وهنا لا مجال للحديث بأنَّ السبب في ذلك هو مراعاة الفاصلة فقط.. بل كل شيء يتم بأعلى درجات الدقة والتوازن، دقَّةٍ عجزتْ عقول البشر عن اختراع شبيه لها، وسبحان الله منزل القرآن ، " ولا تتفرَّقوا عبارةٌ يجمع خطابها كفار العرب واليهود والنصارى وكل مدعو إلى الإسلام فلذلك حسن ان يقال ما تفرقوا يعني بذلك أوائل اليهود والنصارى ، والعلم الذي جاءهم هو ما كان حصل في نفوسهم من علم كتب الله تعالى فبغى بعضهم على بعض أداهم ذلك إلى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة والكلمة السابقة .."[48] ، وتتجلى جمالية التعبير القرآني كذلك في قوله تعالى { يشاق الله} و {يشاقق الله ورسوله} فقد تحدث القرآن الكريم عن معاداة الكافرين لله ولرسوله .. ولكنَّه عبَّر عن ذلك بتعبيرين متفاوتين: ففي سورة الأنفال قال تعالى: [... ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (الآية: 13) . ولكنَّه قال في سورة الحشر [... وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (الآية: 4) الفرق في التعبير بين الآيتين في : ذكر كلمة " رسوله ". لبيان سبب ذلك نرجع إلى سياق الآيتين الكريمتين.. فآية الأنفال تتحدَّثُ عن المشركين وعداوتهم عداوة واضحة مكشوفة

---

[47]. عبد الرحيم الشريف: قبسات من الإعجاز البياني في القرآن ، ضمن كتاب الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود، ص330.

[48]. ابن عطية الأندلسي (عبد الحق بن غالب): المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز ، تحقيق عبدالسلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1993م ، ج5 ، ص 30- 31.

للنبوة والرسالة. لكونهم أنكروا نبياً من البشر يرسل إليهم. ولأنَّهم أنكروا كون محمد (ﷺ) يتيماً فقيراً فهم يريدون رجلاً غنياً . فهنالك عداوة مزدوجة لله ولسيدنا محمد بشخصه (ﷺ). ولسان حالهم يقول: لو أرسل الله رسولاً وفق الشروط الخاصة التي نضعها للرسول لآمنا به. أمَّا الكلام في سورة الحشر فهو عن اليهود الذين يحاربون الإسلام مهما كان النبي المرسل إليهم. فهم حاربوا الإسلام الذي جاء به الأنبياء منذ عهد سيدنا موسى عليه السلام مروراً بسيدنا عيسى عليه السلام وانتهاء بالرسول الخاتم محمد (ﷺ). فهم يعادون النبي لا لشخصه بل لوظيفته ... فمهما كان النبي فاليهود له مشاقون. وسبب آخر: أنَّ سياق آية الأنفال يتحدث عن غزوة بدر الكبرى التي كان فيها قتال وتماس مباشر بين سيدنا محمد (ﷺ)؛ ولهذا كان شقاق الرسول (ﷺ) واضحاً. بينما سياق سورة الحشر في غزوة بني النضير التي لم يحدث فيها قتال مباشر بل كان حصارا لديارهم ثُمَّ استسلامهم[49]؛ فالتعبير القرآني بحذف التاء وذكرها مقصود وكلٌّ ناسب معناه كما رأينا.

وفي تعبيرٍ بياني عجيب يأتي ذكر " والمؤمنون " في موضع ويتم حذفها في موضع آخر، فقد وردتْ آيتان كريمتان تتحدثان عن أمر واحد في سورة واحدة . ومع ذلك اختلف التعبير في كل منها: أخبر الله تعالى بأنَّه سيرى العمل هو ورسوله في قوله تعالى في سورة التوبة : [وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (الآية 94). وأخبر في آية تالية وفي نفس السورة بأنَّه سَيَرَى عملَهم هو ورسوله والمؤمنون وذلك في قوله تعالى: [وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (الآية: 105). وإذا تأمَّلنا نجد أنَّ الآية الأولى كانت في سياق الحديث عن المنافقين، وهم كفار اتخذوا وسيلة إظهار الإسلام وإبطان الكفر محاولة يائسة لنقض الإسلام من داخله . أمَّا الآية الثانية فقد جاءت في سياق الحديث عن المؤمنين الصالحين ودعوتهم إلى العمل الصالح وخاصة دفع الزكاة، فناسب حذف كلمة " والمؤمنون " في سياق الآية الأولى ؛ لأنَّ الكلام فيها عن المنافقين. ولطبيعة النفاق فإنَّ المسلمين لا يعلمون ما يُخْفِي المنافق في قلبه؛ لأنَّهم لا يعلمون الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى الذي يعلم السر وأخفى فقد أخبر سيِّدَنا محمداً بأسمائهم كلِّهم، فجاؤوا ليقدِّموا أعذارهم المقبولة ظاهرياً أمام المسلمين ولكنَّ الله ورسوله يعلمان كَذِبها ، ولا يعلم المؤمنون ذلك باقي المؤمنين لا يعلمون ذلك. أمَّا في الآية الثانية فهي في سياق الحديث عن أعمال المسلمين الظاهرة المكشوفة من صلاة وزكاة . يراها إخوانهم المسلمون ويطَّلعون عليها ، ويأتي التعبير بـ(ثم) في الآية الأولى والتعبير بالواو في الآية الثانية. فـ " الآية الأولى في المنافقين ولا يطلع على ضمائرهم إلا الله ثم رسوله بإطلاع الله إياه، والثانية في المؤمنين وطاعات المؤمنين وعاداتهم الظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين. وختم آية المنافقين بقوله " ثُمَّ تردُّون " فقطعه عن الأول لأنَّه وعيد . وختم آية المؤمنين بقوله " وستردون " لأنَّه وعد . فبناه على قوله " فسيرى الله عملكم"[50]..." وفي اختلاف التعبير دلالة على استعجال الوعد وعدم استعجال الوعيد ، فقد وعدَ الله المؤمنين بِقَبُوْلِ أعمالهم مباشرة فجاءت العطف بالواو، وفي ذلك إشارة إلى عاجل بشرى المؤمن. أما الكفار فجاء العطف بـ(ثم) التي تفيد الترتيب مع التراخي وهو: انقضاء مدة زمنية طويلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف"51 . وهي تحمل معنى إمهالهم وعدم التعجيل بعذابهم لفتح باب التوبة لهم ليعودوا . وإلا فلا

---

[49]. قبسات من الإعجاز البياني في القرآن ، مرجع سابق ، ص 331.

[50]. الكرماني (محمود بن حمزة): أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط1 ، دار الاعتصام ، القاهرة، 1396هـ ، ص 100.

[51]. عباس حسن : النحو الوافي ، ط 15، دار المعارف ، مصر ، ج 3 ، ص 577.

يظنون - إن طال بهم الأمد - أنَّ الله راضٍ عنهم أو نسيهم . إنَّ الله يمهل ولا يهمل. فإنْ لم ينالوا عذابهم في الدنيا . فعذاب الآخرة أشد.

الخاتمة :

إنَّ لغة النَّص القرآني وتراكيبه قد تفرَّدتْ بمحددات جمالية وقصدية دلَّت على أنَّ هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، وذلك كله إثبات لصدق رسول الله (ﷺ) ، وهو المقصود الأول من الفصاحة. تضمَّنت الدراسية تعريفاً بالكلمات المفتاحية ممثلة في جمالية النَّص والقصدية ثمَّ مفهوم الإعجاز. من أهمِّ النتائج التي توصلتْ لها الدراسة ، أنَّ كل كلمة في القرآن إنَّما تأتي في الموقع المناسب، ولا يمكن إبدالها بأخرى ، وهذا من الإعجاز البيانية في القرآن الكريم وهذا معنى القصدية التي أراها الباحثان. مقصد بعض سور القرآن الكريم – سورة الشرح مثلاً بعث الأمل بصدر سيدنا محمد (ﷺ) ، واتباعه من الدعاة المبتلين وتخفيفاً عنهم وبعث الأمل في نفوسهم ؛ فالسورة تأتي في سياق يتحدَّث عن تبشير أصحاب الابتلاء والمحنة والضيق والعسر ، بأنَّ ذلك سيزول وسيحل اليسر مكانه، ختاماً يوصي الباحثان بضرورة التوسُّع في دراسة قصدية النص القرآني ليشمل كل سور القرآن الكريم ، حتى نتمكن من القبض القصدية المرادة من هذا النص المعجز وتلك هي الغاية المنشودة من البحث .

المصادر والمراجع

1- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد): **المثل السائر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت ، 1995م.

2- الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق عمر الطباع، دار القلم ، بيروت،1420هـ- 1999م.

3- البخاري (محمد بن إسماعيل الجعفي) : صحيح البخاري : تحقيق مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، بيروت ، ط 3 ، 1407هـ.

4- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت – 1415هـ /1995م.

5- ابن حجر العسقلاني: (أحمد بن علي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

6- الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي: لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر، بيروت.

7- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1419هـ.

8- الزرقاني (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر بيروت، 1996م.

9- الزركشي : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، 1957م.

10- زكريا الأنصاري : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط1، 1411هـ.

11- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

12- السامرائي (فاضل بن صالح): لمسات بيانيَّة في نصوص التنزيل، دار عمار ، الأردن، 1423هـ / 2003م.

13- صلاح إسماعيل : فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر 2007م..

14- عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ط 15، مصر.

15- عبد الرحيم الشريف: قبسات من الإعجاز البياني في القرآن ، ضمن كتاب الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ، لعلي بن نايف الشحود .

16- عز العرب لحكيم بناني: الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ، الدار البيضاء المغرب ، 2003م.

17. ابن عطية الأندلسي (عبد الحق بن غالب): المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1993م.

18- علي الجرجاني (علي بن محمد): التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 ، 1405هـ .

19- أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد): التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي- بيروت، ط 2، 1404ه.

20- عياض بن موسى القاضي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر ، 1423هـ، 2002م.

21- الفخر الرازي (محمد بن عمر التميمي): مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 ، 1421هـ - 2000م.

22. الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

23- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب ، الرياض، 2003م.

24- ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر):

أ- بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد.

ب- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، دار ومكتبة الهلال – بيروت، 1410 هـ.

26- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر ، السعودية ، 1420هـ / 1999م.

27- كحيل (المهندس عبد الدائم): الحية والثعبان (إعجاز بياني في قصة موسى عليه السلام)، ضمن موسوع الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.

28- الكرماني (محمود بن حمزة): أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة ، ط1 ، 1396هـ.

29- المارغني (أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد): دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الحديث- القاهرة.

30- محمد السيد جبريل: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة.

31- مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح (صحيح مسلم) ، دار الجيل بيروت.

32- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعرفة القاهرة .